من تراثنا الحديث
إفتتاحية مجلة « السلام » (١٩٣٣)

هذه هي المقدمة التي صدّر بها الأستاذ محمد داود العدد الأول من مجلة « السلام » سنة ١٩٣٣، تعبيرا عن رؤية الحركة الوطنية المغربية للعمل الثقافي وعلاقته بالمجالات الاقتصادية ــ الاجتماعية ــ السياسية.

كان صدور « السلام » حدثا تاريخيا، فهو المبلور لطموح جماعي، أساسه مواجهة الوضع الذي كان عليه المغرب آنذاك، من خلال برنامج متكامل، ومن ثم أصبحت « السلام » طريقا تسلكها كل المبادرات التي أتت فيما بعد. من هنا تأتي أهمية العودة الى هذه المقدمة، حتى نتأكد جميعا من أن العمل الثقافي ليس نزوة، ولا حكرا لجماعة دون أخرى، حينما يأخذ هذا العمل بعده التاريخي، يهيء للتحول الفاعل في اتجاه المستقبل الانساني.

قبل أن نتفق أو نختلف حول هذه الرؤية الوطنية للعمل الثقافي، علينا أن نمارس قراءة تاريخية، كلية، لا تستهين بالمعطيات التي أدت الى صوغها على هذا الشكل دون غيره، ولا تُفَتِّتُ النسج لاتخاذ مواقف انتقائية. كل قراءة نقدية هي، في العمق، تاريخية كلية، لا تسقط الرغبات، ولا تلغي النص، أو تمحو شرائطه.

يكفي أننا نتذكّرُ ونُذَكِّرُ، والكشف عن تراثنا الحديث مسؤولية جماعية.

مبدأنا وغايتنا

الشعور حينما يدب في أمة من الأمم ، لا يقتصر على طبقة واحدة من طبقاتها ، أو ناحية خاصة من نواحيها. بل لا يكاد ينبث في طبقة أو ناحية حتى تراه يسري منها الى أخرى سريان الكهرباء في الأسلاك. وبما أسرع ما يعم الشعور اذا كانت الأمة ذات تاريخ مجيد ، وشعبها من أصل طيب وعنصر رشيد.

يعم الشعور سائر الطبقات ، فتجد العلماء يجدون في تعميم أنوار العلوم والمعارف بين طبقات الأمة.

وتجد طبقة الأدباء تجتهد في تغذية عموم الشعب بالأفكار الناضجة ، وتنير السبيل أمامه لادراك حقوقه ومعرفة واجباته ، وتهديه الى الطريق التي يجب عليه سلوكها ليكون شعبا ناهضا قائما بواجباته الاجتماعية. حاملا لقسطه من النهضة العالمية والأمانة الانسانية.

وبالجملة تجد الطبقات الممتازة كلها تعدل عن التفكير في خصوص مصالحها الى التفكير في مصالح الأمة والعمل لاعلاء شأنها ، وتبوئها المقام الذي يليق بها.

ثم إذا التفت الى طبقة الزراع والصناع تجدها جادة في تحسين مشروعاتها وإتقان أعمالها والأخذ بالوسائل الحديثة التي تعود عليها بالفوائد العظيمة والمكسب الطيب والنفع الجزيل.

ثم نجد أساليب التعليم العام تتحسن، ووسائل نشره تتوفر، والاقبال عليه من الجمهور يزداد يوما بعد يوم. وهكذا بقية الطبقات والهيآت كل منها ينهض من جهته ويعمل في دائرته. والأمة تستفيد من ذلك كله. وكلما انتشر التعليم والثقافة، وتوحدت الصفوف، وارتبطت القلوب، وتقدمت وسائل الاقتصاد، ارتفع شأن الأمة، وعم الشعور بالعزة والكرامة سائر طبقاتها، وتلك هي النهضة الحقيقية.

وأمتنا المغربية العزيزة قد اصبحت اليوم مقبلة على نهضة عامة لازالت في فجرها وعصر جديد نريد أن تسترجع فيه من مجدها ، وتحيي فيه من عزها وعظمتها ، ما أخنى عليه الدهر ولعبت به أيدي الحدثان.

لذلك كان من اللازم أن تكون لها صحف مختلفة الموضوعات ، متنوعة الأساليب ، تساير النهضة العالمية ، وتعبد السبيل لمن فيهم الاستعداد للعمل النافع للمجموع ، وتقود جمهور الأمة الى الغايات السامية لتجتني من نهضتها أحسن الثمار دون أن تحيد عن الصراط السوي في أقوالها وأفعالها.

ونحن نعد نهضة أمتنا الكريمة حادثا طبيعيا ما دام العالم الإسلامي كله قد شعر بالهزة العنيفة التي ايقظته من سباته العميق. ومادامت الأمة العربية النبيلة قد نفضت عنها غبار الضعف والخمول ، ووجهت وجهها نحو توحيد الجهود واستثمار المواهب ، للوصول الى النتيجة الطيبة للأمة الحية الشاعرة.

وهل وطننا المغربي إلا جزء من العالم الاسلامي العظيم ، وهل أمتنا المغربية إلا عضو عامل في جسم الأمة العربية الكبرى ؟

وما دام الغرب غربا والشرق شرقا ، والغرب اليوم في أوج عظمته ، والشرق في فجر حركته ، فهل يجمل بشمال افريقيا أن يقف مكتوف اليدين لا هو من الغرب فيتمتع بتفوقه وعظمته ، ولا هو من الشرق فيشارك في شعوره ونهضته ؟ لا.

إن الأمم «كالأفراد» معرضة دائما للضعف والقوة ، والعزة والهون ، والحركة والسكون ، (ويوم لك ويوم عليك) وقبل بضعة قرون كان الشرق مثوى العظمة والرفاهية ، ومركز الحركة العلمية والأدبية ، في حين كانت أوروبا دونه في جميع الشؤون ولكن الغرب اتصل بالشرق ، واستفاد منه فأحسن الاستفادة ، ثم دارت الأيام دورتها فإذا الشرق يدركه الضعف ، ويقضي على مجده التخاذل والترف ، والظلم والعسف ، وإذا الغرب يظهر بمظهر النشاط والفتوة ، ويقدم على صعاب الأمور فيذللها، ويستخدم قواه الكامنة فيأتي للعالم بالعجب العجاب.

وها هو الشرق يتصل بالغرب مرة ثانية ولكن كتلميذ هادىء لا كأستاذ مهاب.

فعسى أن يحسن الشرقيون الاستفادة من تلامذة آبائهم ، فيقلدوا الغربيين فيما امتازوا به اليوم من أسباب العزة والصولة ، وينقلوا عنهم أصول النهضة ويتركوا التوافه والمظاهر الفارغة.

إننا طالما ترددنا في إصدار صحيفتنا «السلام» لأننا نكاد نعتقد أننا عاجزون عن إبراز صحيفة يكون لها مقام كبير في أمة تحتوي على عشرات بل مئات من إخوان لنا وأصدقاء نحن نتيقن أنهم أكثر منا علما وأوسع ثقافة ، واغزر مادة ، وأوضح بيانا ، وأسلس عبارة. وهم بدون شك أولى منا بالقيام بمثل هذا المشروع ، ولكنا لم نجد بدا من تلبية نداء ضميرنا الذي يأبى إلا أن نقدم لأمتنا الكريمة من جهودنا رغما عن ضآلتها ، ومن معارفنا زغما عن بساطتها.

وان أملنا لكبير في أن يكون عملنا المتواضع حافزا لقيام أولئك الإخوان النبغاء في مختلف الأنحاء المغربية

بمشروعات صحافية كبرى يكون عملها أقوى ، وصوتها أعلى ، ونفعها أعم.

أما برنامجنا فمن الصعب علينا تحديده ، لأن مقصودنا خدمة أمتنا العزيزة في كل ناحية نرى فيها مصلحة لها ، إلا أن ذلك لا يمنعنا من أن نشير إشارة الى بعض نواحي سنخصص لها من اهتمامنا قدرا وافرا ان شاء الله. فمن ذلك :

١) التربية والتعليم :

فالتربية الأولية حينما تتحد أو تتقارب في شعب ، يكون لها أقوى مفعول في توحيد الجهود وتوجيهها الى النقطة التي يهم الأمة الوصول اليها.

ومسألة التعليم عندنا ذات أهمية عظمى يعرف قدرها كل من يلقي نظرة ولو مستعجلة على حالة جل الأماكن التي يعيش فيها أبناؤنا وأفلاذ أكبادنا ورجال مستقبلنا أيام تكون أجسامهم وتلقيهم للتعليم الأولي والابتدائي ، أما كيفية تعليمهم والقدر الذي يتعلمونه ومبلغهم من فهم ما يقرأون ، فكل ذلك إما دون ما يجب أو خلاف ما ينبغي.

وأما التعليم الثانوي والعالي سواء بالمدارس المختلفة أو المساجد العمومية (ومنها جامع القرويين بفاس الذي هو أكبر معهد علمي ديني بالمغرب) فكل ذلك لازال مفتقرا الى إصلاحات جمة ، وتحسينات مهمة سنعطيها بحول الله تعالى ما تستحقه من البحث والتمحيص. ونوفيها حقها من التقدير حتى نصل الى نتيجة عملية يجتني منها الجميع أطيب الثمرات إن شاء الله.

٢) الأخلاق والتهذيب :

وإن أمة كأمتنا تنقصها وسائل النشر وتوحيد التفكير ، محتاجة الى قيادة ماهرة تهذب من أخلاقها ، وتجمع ما هو متفرق من شملها «وانما الأمم الأخلاق» خصوصا وهي الآن في موقف الانتقال من امتحانها بالجهل العارض والفوضى الموقتة ، الى حياة العلم والعمل والانتاج والنظام. وإن موقفا كهذا لجدير بأن تكون الأخلاق الفاضلة فيه رائدا ، والتدبر والتثبت فيه هاديا ومرشدا.

الأدب :

وهناك أيضا الأدب ! الأدب الحي المعبر عن سعادة الانسانية وشقائها ، الأدب المفصح عن آمال النفوس وآلامها ، والشعر المطرب للأرواح المتعطشة الى الفضيلة في سمائها ، والحرية في عليائها.

ذلك مورد سنفتح طريقه أمام أدبائنا المجددين وشعرائنا الشعبيين ، وأحرارنا المصلحين. وننتخب على الخصوص من بنات أفكار اخواننا الناطقين بالضاد ، ما نراه المثل الكامل لعزة النفس المغربية منتظما في عقود سحر البيان العربي.

٤) تعميم الثقافة وتوحيدها :

ان لجمهور المفكرين في أمتنا ثقافة ، إلا أنها ليست موحدة ، وذلك لعدم اتحاد التربية والتعليم من جهة ، وعدم وجود وسائل النشر الكافية وتبادل الآراء والأفكار من ناحية أخرى.

وكل من الأفراد والهيآت محتاج الى الاستفادة من تجارب الذين سبقوه الى القيام بمشروعات كمشروعاته.

والأمة حينما تولي وجهتها نحو تنظيم شؤونها وتحسين وسائل حياتها ، تكون أكثر احتياجا من غيرها الى

درس أحوال الأمم السالفة ، والبحث في أسباب نهضتها والطرق التي سلكتها في طوري تقدمها وتأخرها.

لذلك رأينا من اللازم أن نعتني بدرس أصول النهضة في الدول العربية الإسلامية التي لبثت عدة قرون حاملة علم الزعامة العالمية كما نقوم بدراسات وافية للنهضات الحقيقية في الأمم الغربية الحديثة التي انتزعت الزعامة المادية من الشرق ، وبسطت نفوذها المادي والأدبي على جل بقاع المعمور. وإن في درس النهضات المختلفة لموعظة وذكرى لقوم يعقلون.

٥) الاقتصاد والاجتماع :

وتنظيم الحياة الإقتصادية من أكبر الموطدات للنهضة في الأمة ، واعتقادنا أن الاقتصاد هو أساس السعادة المادية.

فالبلاد التي ليس لديها القدر الكافي من المشاريع الاقتصادية ، ولا ينهض أبناؤها لتأسيس الشركات التجارية ، وفتح الدور والمعامل الصناعية ، ليست جديرة بأن تسمى أمة شاعرة بواجباتها ، ناهضة للتمتع بحقوقها.

فيجب أن نسعى مع الأمة لتكوين رؤوس أموال تستخدم للمصالح العمومية وإيجاد الأشغال المختلفة للأيدي العاملة.

ويجب أن نهيء مهندسين فنيين وطنيين يحفظون آثارنا ، ويحسنون زراعتنا وصناعاتنا. ويستخرجون بعلمهم الحديث المنظم ما أودعه الله في أرضنا الكريمة من الخيرات.

ويجب أن يكون من بيننا أطباء ماهرون وكاترة مقتدرون.

ويجب أن ينبغ في الأمة محامون متضلعون في القوانين والشرائع الدولية لتسير الأعمال في طرقها القانونية. وتكون الحقوق الخاصة والعامة في مأمن من الضياع أو الإهمال.
ويجب أن يتكون منا صحفيون يجعلون الإخلاص رائدهم ، والإصلاح والتهذيب والإرشاد مبدأهم.

ويجب أن تقدم الأمة على كل وسائل الحياة المنظمة الراقية وتجعل حدا لكل عمل مخالف للعدالة والقانون.

٦) الرياضة والصحة :

نعتني أيضا بالرياضة وقواعد حفظ الصحة ونعمل لشيوع تربية الأطفال تربية صحية. وناني بالإرشادات النافعة لشباب الأمة حتى يتنافسوا في تحسين صحتهم الغالية وفي المحافظة عليها. لان في ذلك ضمانا للنجاح في المشروعات التي يقدمون عليها. والعقل السليم في الجسم السليم. والأعمال العمومية لاشك تختلف باختلاف قوة أصحابها عقلا وجسما.

٧) التجديد :

مسألة الجديد والقديم ، أو التجديد والمحافظة ، من المسائل التي كثر كلام الناس عنها في المدة الأخيرة. ونظرنا في ذلك أن كُلّ أمة تريد أن تعيش عالمة عاملة مسايرة لطبيعة الكون ، يتعين في حقها أن

تأخذ بكل ما تقتضيه حياة العزة والكرامة من الأفكار الصائبة والمبادىء القويمة والمشاريع النافعة حتى تتمكن من القيام بواجبها الاجتماعي بين الأمم.

ونرى أن الواجب علينا أن نتدبر أسباب رقي الأمم ذات العظمة المادية والأدبية في هذا العصر ، ونبحث عن الوسائل الحقيقية لنهوضها وعظمتها فنقلدها فيما يمكن التقليد فيه ، وان ندخل في كل ناحية من نواحي حياتنا ، عناصر النشاط والقوة والفتوة والتجديد ، حتى تكون في الأمة مناعة قوية ضد عوامل انحلالها أو اندماجها في غيرها. وكل ذلك فيما نرى يمكن لأمتنا أن تقوم به مع المحافظة التامة على جميع مبادىء ديننا الحنيف ، ودون أن نفرط في شيء من مقدساتنا القومية التي بها كان آباؤنا أجلة ماجدين.

إن تاريخنا الاسلامي والعربي حافل بالمواقف المشرفة ، وان كتب سلفنا الصالح مفعمة بالمبادىء السامية ، فلنحافظ على سمعة أجدادنا بعدم إتيان مايناني مواقفهم المشرفة ، ولنحي من أخلاقهم ما فيه النبل والشهامة ، ولنأخذ من الأمم الحية الناهضة كل وصف حميد وخلق كريم.

نحن نريد بكل صراحة أن ناخذ من أوربا لُباب نهضتها ونترك القشور ، نريد أن نقلدها فيما يعود بالخير والمنفعة على أمتنا لافيما لافائدة لها فيه. نريد أن نأخذ عنها وتجاربها في العلم والعمل والجد والمثابرة والإقدام وغير ذلك مما نعده من أصول نهضتها وأسباب سيادتها. ولا نرضى أن يكون الفرد منا كالببغاء تردد كل ما تسمع ، أو الفرد يحاكي كل ما يرى دون فهم ولا إدراك. نريد أن نعمل بجد ونشاط لحياتنا وان لا نبقى كالمتفرجين على أعمال الأحياء المجتهدين. نريد أن نزاحم ونعمل بأنفسنا ، وأن لانقتصر على التحدث بذكريات الآباء والأجداد.

٨) بيننا وبين بقية الأقطار الشرقية :

إن مما يهمنا كثيرا أن نطلع إخواننا في أنحاء هذه البلاد على ما يجري في مختلف الأقطار الاسلامية على العموم والعربية على الخصوص حتى يعرفوا مبلغ سير إخوانهم الشرقيين في نهضاتهم ، ويكونوا على بينة من اتجاهات تلك النهضات ومراميها.

وانه لمما يؤسفنا أن نرى كثيرا من إخواننا المفكرين بالشرق يجهلون كل شيء عن المغرب ، وان عددا لايستهان به منهم ، معلوماتهم عن بلادنا ناقصة أو مشوهة ، ويسرنا أن يعير أولئك الإخوان قليلا من التفاتهم الى هذه النواحي حتى يعرفوابعض مالا يعرفون عنا ، ويصلحوا ما يمكن إصلاحه من الأخطاء التاريخية والجغرافية والاجتماعية وغيرها.

٩) الأفكـار المتطرفة :

وهناك نقطة مهمة لابد لنا من الاشارة اليها. وهي ما نقرأه لبعضهم من حين لآخر من المبادىء الفاسدة والمذاهب الهدامة كالبلشفية والالحاد وغيرها من المبادىء التي يريدون بها عن جهل مركب أن يوهنوا من روحية الأمم وأن يَحُلُّوا ما توثق من عراها ، ويشتتوا ما تجمع من شملها. ونحن نحمد الله على أن تلك الفئة لا يكاد يسمع لها صوت في بلادنا ، ولكن رغما عن ذلك فإننا نصرح بأننا سنُقَاوِمُ كل من يعتدي على المبادىء الدينية والاجتماعية القويمة التي سنعمل لتوطيد مركزها.

وقد طال بنا الكلام، فلنترك الأعمال تغني عن الأقوال، ولنختم هذه المقدمة بكلمة نعبر بها عما نؤمل أن تقوم به صحيفتنا على وجه العموم، وهي أننا نريد أن تقوم من ناحية بخدمة أمتنا في نهضتنا العامة، وخصوصا من ناحية العلم والثقافة، ومن ناحية أخرى نريد أن تكون مرآة يشاهد فيها العالم حقيقة تفكيرنا،

ويجد فيها من المقالات العلمية والأدبية والتاريخية، ومن الشعر القومي ما يصح جعله مستندا فيها لمعرفة درجة الأمة في الرقي والتقدم.

وأخيرا نريد أن نظهر للعالم الاسلامي على العموم والعربي على الخصوص، أننا جزء منه لا يتجزأ. نفرح لفرحه ونتألم لألمه. واذا وقعت حادثة ولو بأقصى المشرق، فإن قلوبنا تهتز لها ونحن بأقصى المغرب. هذه هي حقيقتنا. وهكذا نريد أن يعرفنا العالم.

ونعود فنقصر الخطاب على من يرون رأينا، ويسرهم نجاح مبادئنا من القراء الكرام فندعوهم الى أن يعتبروا صحيفتنا صحيفتهم، وان يبعثوا إليها بمقالاتهم وأفكارهم وملاحظاتهم، وأن يعيروها من إهتمامهم ما يشتد به أزرها ويعم نشرها وتنتشر مبادئها وتتحقق أمانيها. فنجح فيما أسست لأجله من التقدم بأمتنا الكريمة في ميادين العلم والأدب والسياسة والاقتصاد، ومن الدفاع عن الاسلام والعروبة والأخلاق الفاضلة وعن الحقوق المهضومة.

سدد الله خطانا، وجعل الحق رائدنا، إنه ولي الهداية والتوفيق.

محرر السلام : محمد داود

شـــؤون فلسطينيـــة

مجلة شهرية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينيـــة وشؤونها المختلفة ، تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

المدير العام : صبري جريس

رئيس التحرير : محمود درويش

المراسلات يبعث بها الى العنوان التالي :

بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كرلومباني

(متفرع من السادات ، رأس بيروت) ص. ب. : 1691 ،

بيـــروت لبنـــان

سعر العدد بالمغرب : 9 دراهم